مسرح المشاركة ومراحل الطفولة

قبل الشرح والتحليل إلى النموذج التطبيقي "الشجرة المنتصرة" لمسرح المشاركة للأطفال، من الضروري الفهم لتعريف هذا النوع من المسرح وكذلك إلى أهم سماته، بالإضافة إلى معرفة علاقة مسرح الأطفال ومراحل سن الطفولة، هذا لكي يكون هناك وضوح في الرؤية حول مسرح المشاركة للأطفال.

أولاً: تعريف مسرح المشاركة للأطفال

إن الرؤية إلى تحقيق مستقبل متطور وحضاري تعنى الاهتمام بالأطفال، لأن الطفل هو ركيزة المجتمع الإنساني، والاعداد المتميز لهذه الركيزة يعنى بناء أمة حضارية، قادرة إلى السير مع عجلة التاريخ المتجه دوماً للأمام.

ومن هنا فان ثقافة الأطفال أحد الروافد الهامة في نسيج الحياة الثقافية والفنية للطفل خاصة، وللمجتمع عامة. لأن " ثقافة الأطفال هي احدى الثقافات الفرعية في المجتمع، فهى جزء من ثقافة المجتمع، وهي تشارك الثقافة العامة في صفات عدة، ولكنها لا تشكل نسخة مكررة منها بأي حال من الأحوال،

كما أنها لا تشكل تصغيرا أو تبسيطا لها، بل هي كيان متميز."[1] حيث أن الاهتمام بثقافة الأطفال هو اهتمام بتراث الأمة في ماضيها وحاضرها ونظرة مستنيره الى مستقبلها.

وانطلاقا من أن مسرح الأطفال وما يتضمنه من فنون مختلفة يعتبر أحد الروافد الأساسية التي تساهم في تشكيل الوعي الثقافي والفني للطفل، لذلك فان هذه الدراسة تحاول أن تلقى مزيداً من الضوء على ملامح الدور الذي يجب أن يلعبه مسرح الأطفال مع عالمنا المعاصر وما يفرضه من متغيرات يجب علينا أن نواكبها من أجل تحقيق شيء من الازدهار والانتشار لحاضر مسرح الأطفال ومستقبله.

يقول مارك توين عن مسرح الأطفال إنه "أعظم الاختراعات في القرن العشرين... انه أقوى معلم للأخلاق وخير دافع الى السلوك الطيب اهتدت اليه عبقرية الأنسان، لأن دروسه لا تلقن بالكتب بطريقة مرهقة أو في المنزل بطريقة مملة، بل بالحركة المنظورة التي تبعث الحماس... "[2] وذلك لأن للمسرح خاصية متفردة، ألا وهي التحام الآدمية بالآدمية، وجها لوجه، بلا حواجز أو فواصل، وهذا ما يمنحه التأثير المباشر على المشاهد.

إن الوقت الحالي والمستقبل القريب منحنى تاريخي جديد على خريطة التطور

[1] الهيتي، هادى نعمان: ثقافة الأطفال، عام المعرفة 123، الكويت، 1988، ص33.

[2] وارد، وينفريد، مسرح الأطفال، ترجمة محمد شاهين الجوهري، مطبعة المعرفة، ابيل 1966، ص 44.

الإنساني، يتضمن هذا المنحنى عديداً من الاكتشافات العلمية، وثورة تكنولوجية، وثورة في عالم الاتصالات، إن العالم يتغير، ولم تصبح الحدود المكانية والزمانية تتحكم فية، بل ظهرت مجتمعات معرفية جديدة لا تعترف بتلك الحدود، نتيجة تطور وسائل الاتصالات الإلكترونية.

ونتيجة لهذا التقدم التكنولوجي الاتصالي الذي سيطر على الثقافة والحضارة الإنسانية ظهر المجتمع اللامكاني SPACELESS SOCIETY، أصبحت تقنية المعلومات والمعرفة والتواصل والتفاعل، مكوناً هاماً من مكونات الثقافة والحضارة، حتى أضحى علينا أن نواكب هذا التطور لتحقيق التواجد العربي على الساحة العالمية، بحيث تكون لنا القدرة على المنافسة العالمية والتفاعل مع لغة العصر. وبهذا يتم تحقيق الانفتاح للطفل العربي على ثقافات الطفل في العالم كأساس للتعرف على العولمة "GLOBALIZATION " يشير إليها روبرت روبرتسون في تعريفه أنها "انضغاط العالم، وتكثيف الوعي بالعالم ككل"[1] - كتعددية ثقافية يجب فهمها والتعامل معها دون أن يفقد هويته. وبالتالي يصبح هناك معيارية جديدة للمجتمع، ولا بد لهذه المعيارية من تصور يتفاعل معها.

إن المسرح عنصر هام في المنظومة الاجتماعية التي تعبر عنه وتعكس توجهاته ومشكلاته ورؤاه وأحلامه، ومن ثم يبرز على العقل تساؤل، هل المتغيرات الحياتية تحتم تغير المعطيات الفنية في ظل المتغيرات الجديدة؟ أو

[1] ريبيلاتو، دان: المسرح والعولمة، ترجمة أريج إبراهيم، المركز القومي للترجمة، 2016، ص 20.

بمعنى أكثر وضوحا هل هناك غائية جديدة لمسرح الأطفال في عصر العولمة؟ ومن هنا يبرز سؤال ضروري وهو ماذا عن دور مسرح الأطفال في هذه المنظومة؟ هل سيظل كما هو أم سيتطور الى مواكبة هذا العصر المستقبلي بمفاهيم جديدة؟ ومن هنا فان هذه الدراسة تركز على مفهوم المشاركة في مسرح الأطفال كعنصر تفاعلي بين المؤدى ومفردات العرض المسرحي وبين الجمهور، وذلك من أجل بناء جيل قادر على الفهم والمناقشة والإبداع، لكي نتنافس مع الثقافة العالمية. ومن هنا يجب أن يتسم مسرح الأطفال بمحاور أهمها:

(1) الروح العصرية THE MODERN SPIRIT

إن موضوعات مسرح الأطفال يجب أن تتجه لروح العصر والواقع الحضاري الذي صنع متغيرات كثيرة سواء على المستوى السلوكي أو المعرفي أو التقني، مثل التفكير العلمي، عالم الروبوتات، الاستنساخ، المدن الفضائية، البحث عمن في الكواكب الأخرى، احترام ثقافة الآخر...- ومن أهم هذه المتغيرات هو التطور الإلكتروني الذي جعل العالم قرية صغيرة قائمة على شبكة اتصالات من الحزم الضوئية، وهذا بالطبع فرض نفسه على الواقع الثقافي والمعرفي.

إن ذلك يعنى "زيادة الانفتاح الثقافي والاجتماعي بالمعنى الواسع للكلمة الذي يشمل السياسة والاقتصاد وأساليب الفكر بحيث تتصل كل مجتمعات العالم بعضها بعضا بما يحقق التبادل الثقافي على أوسع نطاق نتيجة وسائل الأعلام

والاتصال المتطورة، وسوف يساعد هذا الانفتاح والاتصال على معرفة الثقافات المختلفة والمتباينة في العالم، وإدراك كنهها ومعرفة رموزها ومعانى هذه الرموز مما يؤدى إلى احترام ثقافة الأخرين"[1] ونتيجة هذا الاتصال الثقافي يمكن التعرف على الأعمال الثقافية بشكل عام، وعلى فن المسرح بشكل خاص في البلدان المختلفة في عالمنا، وهذا يتيح التعرف على التيارات والرؤى المختلفة، وعلى القيم في الثقافات الأخرى، ومن ثم فهذا يولد التلاحم والتنوع والتلاقح مع المعارف المغايرة هذا مما يولد ابداعات جديدة. إن مجتمع اليوم قائم على اللامركزية، وعلى الخروج من قوقعة المكان الى الاتساع، ومن فلسفة الجزر المنعزلة الى التعاون الجماعي من أجل التكامل، واستبدال " المعرفة القديمة بمعارف مستجدة، توضح الفرص المتاحة للتجديد، الذى يتأسس على الفكر والمعرفة كمصادر أولية، ويتطلب ذلك انفتاحا غير مشروط ومراجعة مستمرة، وابداعا دائما وتقييما متواصلا ومعاينه دؤبة، وانتباها مشدودا باعتبار أن غدا يحمل مظاهر ذات جدة غير مسبوقة."[2] إنها التعددية الثقافية التي يجب أن يحياها مسرح الطفل دون التخلي عن قيمة ومعاييره المستمدة من بيئته العربية لكي يحافظ على هويته وأصالته رغم هذه المتغيرات.

لهذا يجب ألا تقتصر الموضوعات على الجانب العلمي فقط وإنما على منظومة قيم حضارية أخرى تكون " ذائعة وشائعة في المجتمع من قاعدته إلى قمته ـ ومن ـ وأهم تلك القيم هي: تقديس الوقت... المحافظة على البيئة،

[1] أبو زيد، أحمد: الطريق إلى المعرفة، كتاب العربي 46، الكويت، 2001، ص167
[2] فهمي، فوزي: الثقافة والتجدد، الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1997، ص18،17.

والأيمان بفاعليات العمل الجماعي.. والاهتمام البالغ بالبشر (الموارد البشرية).. والتعليم القائم على الأبداع (وليس التلقين) ... وإشاعة روح توخى الكمال والتميز والسعي الدؤوب للإتقان... ورسوخ فكرة عالمية المعرفة والعلم في العقول.."[1]

كما أنه من الضروري الاهتمام بالتراث لأنه روح الأمة وتاريخها الذي نستخلص منه القيم الانسانية والمعرفة، كما ينبغي ألا يقدم التراث المصري والعربي في عالم مسرح الأطفال من منظور الماضي البعيد، إن المحاكاة للماضي، تضع المسرح في صورة جامدة غير متحركة وغير متفاعلة مع الحاضر، وإنما يقدم التراث برؤية جديدة تجمع بين القديم والجديد، الموروث والمعاصر، ليكون امتدادا في المستقبل برؤية متطورة، سواء كان ذلك لتراث المسرح المصري أو العربي أو العالمي. ومن ثم تتطلب هذه المرحلة لمسرح الأطفال أن يتفاعل مع القضايا الحياتية المعاصرة والمستقبلية سواء كانت محلية أو عالمية، لأن المسرح المصري والعربي في ظل العولمة والقنوات الفضائية لابد أن يجد له طريقاً مستنيراً داخل منظومة المجتمع.

(2) قيم فنية وتربوية ARTISTIC AND EDUCATIONAL VALUES

هناك رأى ينظر إلى مسرح الأطفال باعتباره وسيلة فنية ترفيهية، كما أن هناك رأى أخر يقر بأن مسرح الأطفال وسيلة تربوية تعليمية، ولكل رأى مبرراته الموضوعية، ولكن يوجد طريق ثالث يدعو إلى كلا الجانبين الفني

[1] حجي، طارق: قيم التقدم، سلسلة أقرأ، دار المعارف، 2001، ص21،22.

والتربوي معا في آن واحد وذلك لأن فن المسرح تتفاعل وتتجمع في بوتقته عديد من الفنون المكانية والزمانية والزمكانية معا (الكلمة، التمثيل، الموسيقى، الغناء، الديكور، الملابس، الإكسسوار، النحت، الرسم، الرقص....) كل ذلك في شكل مركب على خشبة المسرح، وهذا يجعل المسرح ثرى في رؤيته الفنية والثقافية لتنوع الوسائط الفنية لدى المتلقي (جمهور الأطفال) أو مجموع الأطفال المشاركين مع المؤدين المحترفين في صنع هذه العملية الفنية.

" فالعرض المسرحي يساعد على التكامل بين النظرية والتطبيق، فهو يجمع بين الخبرات النفسية/ العضلية والخبرات الوجدانية والمعرفية، ويوحد الفن والتكنولوجيا ويوثق الروابط بين المؤدى والجمهور. ولأن العرض المسرحي يتميز بتنوع معارفه وفنونه وبقدرته على التآلف والتكامل والاندماج بينها "[1] وانطلاقاً من ذلك نجد "أن العملية المسرحية تتحقق على مستويين متزامنين: مستوى مادى ملموس يسعى الى تجسيد العرض عن طريق اختيار العمل المسرحي واعداده للعرض امام جمهور معين في وقت معين، ومستوى تجريدي يتعلق بعملية التطوير والتنمية المستمرة للوظيفة الثقافية الشاملة للعرض المسرحي."[2] إن التلقي للفنون من قبل المشاهد يطور من ادراكاته وتذوقه ومعرفته للفنون المختلفة، ومن جهة أخرى اذا كانت هذه الفنون تمارس أثناء الأعداد العملي لعرض المسرحي، فهذا يعمل على اذكاء قدرات ومواهب الممارسين لهذه الفنون. مؤكدين في ذلك العمل مبدأ "التعلم عن

[1] هلتون، جوليان: نظرية العرض المسرحي، ترجمة د. نهاد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص207.
[2] نفسه، ص 208.

طريق العمل DOING LEARNING BY الذي نادى به المربى الأمريكي جون ديوي"[1]

(3) التفاعلية INTERACTIVE

إذا كان التفاعل والمشاركة في عالم المسرح سمة أساسية مقرونة بطبيعته حيث نجدها متمثلة أولاً: في مشاركة الممثلين ببعضهم البعض بروح جماعية في التجربة المعروضة ، وثانياً: في ذلك الحوار الخفي الذى يسرى في العرض إلى المتفرجين و بالعكس ، أي بمعنى آخر تكون المشاركة هنا بين الممثل و المتفرج ، وثالثاً: في مشاركة كل متفرج والمتفرجين الآخرين الذين يحضرون معه العرض " إن العرض المسرحي باعتباره مشاركة، وليس مظهراً براقاً، أنه من الضروري للأطفال أن يتعلموا مسئولياتهم كمرسلين ومستقبلين، ويجب أن يتفهموا أن العرض ما هو ألا سعى متعاون من خلالهم وليس أعانة من الآخرين"[2] وهذه المشاركة تتدرج ويتفاوت بعضها من لحظة إلى أخرى في شد قوى وجذب خفيف ، تبعاً لطبيعة العرض المسرحي فهناك لحظات تنادى الاندماج و المشاركة الوجدانية، ولحظات أخرى تنادى يقظة العقل – وتكسر الإيهام - لتصنع مشاركة عقلية ولحظات تفرضها المشاركة الحركية أو كلها معاً.

---

[1] اللقاني، فاروق عبد الحميد: تثقيف الطفل، فلسفته وأهدافه ومصادره ووسائله، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون تاريخ.

[2] SCCASLIN, NELLIE (1981) CHILDREN AND DRAMA, LONGMAN SECOND EDITION, , P.117

إن العلاقة بين المؤدى والمتلقي في ضوء المسرح تكون تفاعلية، إن الجمهور أحد العناصر الأساسية في العرض المسرحي، والرؤية الجماعية للعرض المسرحي تعطى مزيدا من التوحد والحميمية داخل العمل الفني. "وتمثل عملية دخول المتفرج الى عالم العرض عملية عبور على مستوى الأدراك من منطقة الوعي التي تتصل بالعالم خارج المسرح الى منطقة الوعي التي تتصل بالعرض المسرحي"[1] المسرح فن حي تفاعلي، والجمهور عنصر أساسي في اتمام العرض المسرحي، وهناك تفاعل مباشر وخط اتصال بين مفردات العرض والجمهور المتلقي وخاصة في مسرح الأطفال.

إن مسرح الأطفال، هو مسرح من أجل الأطفال، يقدمه محترفون متخصصون، وأحياناً يمثل فيه الصغار إلى جانب الكبار، في بعض العروض. والهدف من مسرح الطفل هو إعطاء الجمهور أفضل خبره مسرحيه من حيث حرفية وأساسيات المسرح، لكي يخلق فيما بعد جمهور المسرح من الشباب والذي سيكون فيما بعد جمهور الكبار، وهكذا يساهم هذا المسرح في صنع جمهور الغد. وإذا كان المسرح المحترف للطفل يمارس نشاطه خارج نطاق المدرسة، إلا أنه لا بد أن تحتوى مادته على العنصر التربوي، هذا العنصر التربوي لابد أن يندمج في نسيج العمل الفني دون أن يثقل العرض على الأطفال بشكل مباشر، ويضيف إلى مفهومهم شيئاً جديداً، معنى هذا أن مسرح الطفل يستخدم كل إمكانياته البشرية والمادية والحرفية في تحقيق عالم بهيج،

[1] أسعد، يوسف ميخائيل: رعاية الطفولة، مطبعة نهضة مصر 1979، ص 216.

متألق ممتع بقيمه الفكرية والجمالية في كل من العالم البصرى والسمعي لخشبه المسرح – والقيم التربوية كامنة في داخله لا ترى مباشرة، وإنما هي تسرى إلى الأطفال في يسر وسهولة من خلال نسيج العمل الفني.

بهذا المعنى فإن "مسرح الأطفال" يمكن وصفه بأنه تجربة مسرحية متكاملة الشكل حيث تعرض فيه المسرحية أمام متفرجين من الأطفال. إن هدف مسرح الأطفال هو تزويد الأطفال المشاهدين بالقيم الفكرية والفنية والجمالية من خلال التجربة المسرحية. ولتعميق هذا الهدف يستخدم مسرح الأطفال كل الوسائل التكنيكية والمبادئ الفنية الإبداعية.

وتتحقق المشاركة في العرض المسرحي من خلال عناصر دفع للمشاركة بصورة حيوية مرسومة مسبقاً، ولكن تبدو تلقائية أثناء العرض، ومن أجل أن يتحقق المتفرج بصفة عامة والمتفرج الطفل بصفة خاصة مزيد من التفاعل. ويعتمد مفهوم المشاركة على نفس التكنيك الإهامي في المسرح التقليدي، ولكن يتعدى حدود الإيهام للأطفال إلى تحفيزهم للمشاركة الفعلية فيما يجرى من أحداث درامية، وهو بذلك يعطهم الفرصة للمشاركة البدنية والصوتية والتخيلية في إبداع المسرح مع الفنانين إنه يشجع التفاعل بين الكبار والصغار ويوقظ أحاسيسهم ويمنحهم السعادة. ويترتب على ذلك أن يصبح الأطفال فاعلين في التجربة المسرحية على مستويين بوصفهم جمهوراً ومشاركين.

ثانياً: خصائص مسرح الأطفال من حيث مراحل سن الطفولة

الموضوع هنا في هذه الدراسة ليس دراسة مسيرة الإنسان كاملة، وإنما دراسة مقصورة على الطفولة بمراحلها المختلفة. والسؤال الآن: هل نقدم مسرحية، يلائم مضمونها الأطفال في جميع الأعمار؟ أم هل نقدمها للمرحلة العمرية المناسبة لها؟

هناك فريق يرى - العاملون في مسرح الطفل في مصر - أن تقديم المسرحية التي تلائم مضمونها جميع الأعمار هي أفضل السبل للأطفال، لأن ذلك سيحدث تفاعل، لتبادل الخبرات بين مختلف المراحل العمرية، وذلك لعدم التفرقة بين عالم الكبار، وعالم الأطفال. هذا يساعدهم على النضج المبكر، لأن جمهور الأطفال يذهب إلى المسرح مع الكبار. وبالسؤال عن السمات التي يجب أن تراعى في هذه العروض المسرحية، كانت الإجابة:

1) استخدام لغة بسيطة يفهمها الأطفال
2) بساطة وضوح الفكرة
3) تظهر مثيرة وبهيجة
4) استخدام حركات البهجة والرقصات
5) تحتوي على غرض تعليمي.[1]

[1] بحث منشور، آراء وخبرات العاملين بمسرح الأطفال بمصر، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، وحدة بحوث الرأي العام والاعلام، الثقافة الجماهيرية، مركز ثقافة الطفل، 1979، ص 78.

بينما يرى الفريق الآخر أن الأداء يجب أن يتطابق مع المرحلة المقدمة إلى، عدم الخلط بين الجمهور لفرق الأعمار.

عندما يفكر الإنسان في الكون المحيط، فإنه يدرك، ويفهم، ويحاول أن يستنتج من علاقات هذا الشخص المنفصل عنه، ويجد أن الأشياء لها مراحل، كل مرحلة لها سماتها الخاصة التي تميزها. عند النظر إلى الطبيعة، وجدت أن لديها مراحل متغيرة: الربيع مع الإزهار، والصيف بالحيوية، والخريف بأوراق الشجر، والشتاء مع الإخفاء.

عندما نظر إلى التاريخ العميق، وجد حضارة إنسانية منذ مهد حتى الآن يسير في موجات نابضة بالحياة بين أعلى وأسفل في إنتاجها المادي والمعنوي. العصور الوسطى مع الكهوف المظلمة مختلفة عن عصر النهضة بعقلها المضيء، تختلف من الآن عصر اليوم مع سباقها في الفضاء.

الإنسان نفسه الذي يتأمل، إذا كان يفكر في نفسه. كان سيجد أنه خلال عمره منذ أن ولد ليكون مسنًا، لديه مراحل ويمر بها. الدافع الأساسي للاختلاف هو أن الإنسان له خصائص النمو العقلي، والتي لها سماتها الخاصة، والشخصيات المميزة تختلف من مرحلة إلى أخرى، لا يمكننا أن نمر بها. على سبيل المثال، إذا لاحظنا سلوك اللعب في مراحل الطفولة، فسنجد أن رضاعة اللعب تختلف من حيث الأسلوب ومعقدة ولطيفة عن لعب الأطفال في المرحلة السابقة للمدرسة على الرغم من أن موضوعات ومواقف اللعب قد تكون متشابهة. إذا

وجدنا طفلاً ومرضعًا بنفس الطريقة والانضباط، فهذا يلفت الانتباه إلى أن اللعب يجب أن يكون مختلفًا لأنهما في مرحلتين مختلفتين من النمو. هذا الموقف يجعل العديد من الاحتمالات مثل: الطفل يمكن أن يكون متأخرا في نموه، يمكن أن يكون الرضاع متقدما.

ويوضح بياجيه PIAGET - من خلال تجاربه - الاختلافات الملحوظة على الأطفال في مراحل النمو. عندما قدم وعاءين أسطوانيين متشابهين في الشكل والحجم، وكلاهما ممتلئان بالخرز، أدرك هذا الطفل أن الوعاءين لهما كميات متساوية، لكن عندما تم إخلاء أحد الأواني في وعاء آخر لفترة أطول وأقل عرضًا، وجد هذا الطفل الرابع يقول: إن القدر الأطول يحتوي على كمية أكبر من الخرز من القدر الآخر، بينما نجد هذا الطفل نفسه عندما يصبح في السابعة يدرك أن الكمية تظل ثابتة، لا يتغير مع القدر.

عندما عرضت بياجيه على طفل كرتين من الطين بنفس الحجم، وطلب منه أن يصنع أحدهما كقطعة فطيرة، ثم سأله عن كمية الطين في كل كرة، كانت الإجابة تعني أن هناك واحدة أخرى في الأخرى لأن فطيرة أكثر شمولية أو لأن الكرة أكبر، لأنها أعلى. هنا، فهم الطفل أن التغيير في شكل مقطوع غير كميته.

مع المزيد من الخبرات التي يكتسبها الطفل في الثامنة أو العاشرة، يدرك أن كمية المواد وحجمها ووزنها ثابتة، لا تتغير بالشكل.[1]

[1] انظر، محمد عبد الظاهر الطيب، وآخرون، التلميذ في التعليم الأساسي، سلسلة علم النفس المعاصر، أبناؤنا وبناتنا (3)، منشأة

إن ما يتم تقديمه للطفل يجب أن يكون مناسبًا لعمره، وهذا أمر مهم "دلت الدراسات النفسية أن الأطفال يحاولون الهروب من الأعمال على مستوياتهم، فنجدهم يعملون بجد إذا شعروا بقدرتهم على النجاح. إن تدريس المواد التي تلائم الأطفال لديهم معنى في أذهانهم، يساعد على تطوير معلوماتهم، ويزيد من تجاربهم، ويحقق الكثير من الأهداف، من بينها: جعل النمو والنمو في شخصيات الأطفال في الاتجاه الاجتماعي المرغوب فيه"[1]

لذلك، نرى أهمية أن يتم فهم المواد المقدمة للطفل، فهي تخلق منه شخصية تدركها بنفسها وأسرتها ومجتمعها. يجعله شخصية إيجابية وتفاعلية نحو الأفضل. ذلك لأن الأمور وضعت في مواقعها الصحيحة وأثمر ثمارها الجيدة. وتؤكد وينفرد وارد WINFRED WARD على أهمية الموضوع المقدم للطفل، ومدى ملاءمته لعمره، وتقول: "ما يقبله الأطفال في سن الخامسة، يبدو تافهاً للأطفال في الحادية عشرة، وما يهز مشاعر هؤلاء الأطفال، يثير فزع الأطفال في الخامسة".[2]

إن وينفرد وارد ترغب في أن يعلق على مسرح الأطفال لافته، تحدد عمر الأطفال الذين يشاهدون المسرحية. على سبيل المثال: يمكن أن تشير العلامة إلى "مسرحية الليلة للأطفال فوق الثامنة لا يسمح لغيرهم بالدخول".[3] وهي

المعارف بالإسكندرية، 1982، ص 9، 10.

[1] ولارد أولسون، وجون ليولن، كيف ينمو الأطفال، ترجمة محمد خليفة بركات، سلسلة دراسات سيكولوجية (25)، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ، ص 79.

[2] وينفريد وارد: مسرح الأطفال، ترجمة محمد شاهين الجوهري، مطبعة المعرفة، ابريل 1966، ص 145.

[3] المرجع السابق: ص 145.

تحدد أيضًا، المستويات العمرية لمسرح الأطفال، وتعتبر "المسرح المثالي للأطفال يعرض ثلاث مجموعات من المسرحيات على الأقل. الأول للأولاد والبنات من السادسة إلى السابعة، والثاني من التاسعة إلى الثانية عشرة، والأخير هو لمن اجتاز الثانية عشرة. لا يحتاج الأطفال الصغار إلى مسرح، ولألعابهم ما يكفي من التمثيل ".[1]

للتأكد من ذلك، وجدنا أن علماء التعليم وعلم النفس قسموا النمو إلى عدة مراحل، كل مرحلة لها خصائص ثابتة. إن مراحل نمو الإنسان مراحل متصلة مع بعضها البعض، ليست مراحل منفصلة، تفصل بين كل مرحلة وآخرى خطوط قاطعة، إنها متداخلة ومتواصلة باستمرار. ومع ذلك، قرر علماء النفس أن جميع الأطفال يمرون بالمراحل التالية:

1- مرحلة الواقعية والخيال المحدود

تشمل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 3 إلى 5 سنوات.

2- مرحلة الخيال المنطلق

تشمل الأطفال ما بين 6 إلى 8 سنوات

3- مرحلة البطولة

تشمل الأطفال ما بين 9 إلى 12 سنة

4- مرحلة المثالية

تشمل الأفراد ما بين 12 إلى 16 عامًا

وسنتطرق هنا إلى سمات كل مرحلة وعلاقتها بعالم المسرح.

[1] المرجع السابق: ص 147.

1- مرحلة الواقعية والخيال المحدود

تشمل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 3 إلى 5 سنوات. عالم الطفل في هذه الفترة هو المنزل، والأقارب، والألعاب التي يلعب بها، وبعض الشخصيات الطبيعية التي يدركها مثل: المطر، والظلام، والنور ... ويملك الطفل طاقة حركية كبيرة، تجعله يمشي ويجرى ويتسلق، فيجد نفسه في دنيا يجهل الكثير عنها، فيحاول أن يفهم الأشياء من حوله، لذلك يكثر الطفل من الأسئلة، ومن بين الميزات الهامة لهذه المرحلة "اللعب الايهامي، والمقصود باللعب الايهامي أن يتطابق الطفل مع أدوات اللعب المتاحة أمامه."[1] نجد الطفل يحمل عصا، ويضعها بين ساقيه، يركض معها، يتخيلها حصان. ونرى أن الطفلة تجعل دمية لها ابنتها، تدللها، تغني لها في وقت ما، وتغضب مرة أخرى منها، وتمنعها من فعل شيء ما.

ولكن، هل يمكن للطفل في هذه المرحلة التفاعل مع المسرح؟

كما ذكر سابقاً، في رأى وينفريد وارد أن الأطفال الصغار دون السادسة لا حاجة بهم إلى المسرح، فإن لعبهم الايهامى هو وسيلة لتنظيم الكثير من أنشطتهم، وقاعدة لممارسة مهاراتهم الحركية، وطريقة لتنشيط تفكيرهم وحواسهم بدلاً من أن تظل خاملة.

في البحث عن "آراء وتجارب العاملين في مسرح الأطفال في مصر" كان

[1] محمد عبد الظاهر الطيب، وآخرون: الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة، سلسلة علم النفس المعاصر أبناؤنا وبناتنا 2، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص 85.

هناك سؤال حول الحد الأدنى - في رأيهم، من تجربتهم في العمل في الميدان - والتي يستطيع الطفل أن يتفاعل مع مسرحية بشرية؟

كان الجواب "الحد الأدنى لتفاعل الطفل مع المسرحية البشرية بعد مستوى عمر ست سنوات".[1]

وحول أهم الخصائص المسرحية التي تقدم للأطفال أقل من ست سنوات، انتهى الرأي إلى أنها:

1) تعتمد أساساً على الحركة أكثر منها على الكلام.
2) تجرى في عالم الحيوان والطيور.
3) تستخدم العرائس.
4) تستخدم الرسوم المتحركة والكرتون.
5) أن تكون مبسطة واضحة تعتمد على محسوسات.
6) أن تكون مشوقة.
7) فيها نوع من الابهار بالألوان والاضاءة والأشكال.[2]

لا يمكن للطفل في هذه المرحلة فهم مسرحية بشرية بسبب لغتها التي لا يستطيع فهمها، لأن إدراك الطفل لا يصل إلى مرحلة النضج الكافي لمتابعة مسرحية حوارية، لأن الطفل لديه قدرة حركية كبيرة في هذه المرحلة مما يجعله يتنقل كثيرًا. لذلك، فإنه يعيق مواصلة المشاهدة والمتابعة. في حين أنه

[1] بحث منشور، آراء وخبرات العاملين بمسرح الأطفال بمصر، مرجع سابق، ص 86.
[2] المرجع السابق، ص 84،83.

يمكن أن يشاهد مسرحية عرائس، تتحدث عن عالم الحيوانات والطيور بأشكال جذابة، قليلة الحوار، تعتمد على الحركة اعتماداً أساسياً، وتقدم في وقت زمني يمكن أن تتحمله قدرة الطفل على التركيز، (15 م - 20 م). كل هذا يجعله مولعا بهذا النوع من المسرح.

من خلال إدراك الوالدين في المنزل، المعلم في رياض الأطفال عن اللعب وأهميته بالنسبة للطفل، يمكنهم الاستفادة من هذه الطاقة الإبداعية في اللعب. اللعب يساعدهم على معرفة نوع الطفل، إلى أي الأشياء التي يميل إليها: الألعاب الحركية، أو الألعاب الفكرية، أم الالعاب الجمالية، حيث أن اللعب بالنسبة للطفل هو تحضير للعمل في المستقبل لأن الطفل يتصرف كثيرًا من مشاعره وأفكاره في اللعبة التي يتفاعل معها. لذلك، يكشف عن نفسه. لذلك، الأسرة هي أول أم لتقويم الطفل في بيئته، ورياض الأطفال هي الأم الثانية خارج نطاق المنزل للتعامل مع المجتمع.

2- مرحلة الخيال المنطلق

تشمل الأطفال ما بين 6 إلى 8 سنوات. تتميز هذه المرحلة بانطلاق الطفل نحو آفاق عقلية جديدة. لتعلم القراءة والكتابة في المدرسة، ومعرفة المزيد من الألعاب الرياضية والجماعية. من خلال الذهاب إلى المدرسة والتفاعل مع المجتمع، يتم توسيع البيئة الاجتماعية للطفل، مما يساعد على زيادة تجارب الطفل، ويجعله يكتسب الاتجاه الصحيح تجاه نفسه، ليكون مستقلاً عن الآباء. الميزة الأكثر أهمية في هذه المرحلة هي خيال الأطفال، حيث "يتطلع بخياله إلى عوالم أخرى، تعيش فيها الجنيات العجيبة والحوريات الجميلة، والملائكة

والعمالقة والأقزام في بلاد السحرة والأعاجيب. ومن هذه القصص كثير من أساطير الشعوب، وقصص ألف ليلة وليلة ... وما اليها، وهذه القصص الخيالية تهيئ للأطفال قدراً كبيراً من المتعة" [1]

حول الخصائص المهمة للمسرح المقدم للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 6 و9 سنة كانت السمات التالية:

1) خيالية.
2) تتضمن العرائس، أو المسرح البشرى (أو كليهما).
3) مستمدة من البيئة الاجتماعية.
4) تشتمل على نوع من التوجيه التربوي والاجتماعي، الذي يؤكد القيم الاجتماعية بطريقة غير مباشرة.
5) تحتوي على نوع من المغامرات.
6) تحتوي على أسلوب واضح وفكرة بسيطة.[2]

3- مرحلة البطولة

تشمل الأطفال ما بين 9 إلى 12 عامًا، مع زيادة السن؛ يبدأ الطفل في هذه المرحلة بالانتقال من عالم الخيال إلى عالم الواقع، ويتعلم المهارات اللازمة لشئون الحياة. إنه يتقدم من المفهوم البسيط إلى المعقد، ومن التمركز حول الذات إلى المفاهيم الموضوعية، إنه يشكل معايير أخلاقية وقيمية، فيصبح

[1] أحمد نجيب: فن كتابة الأطفال، دار اقرأ، بيروت، 1983، الطبعة الثانية، ص 40.
[2] بحث منشور، آراء وخبرات العاملين بمسرح الأطفال بمصر، مرجع سابق، ص 84.

الطفل أكثر استعدادًا لتحمل المسؤولية، ويميل إلى أعمال المنافسة، والشجاعة، والمغامرة والتمثيل. "ومما يظهر أيضاً بقوة في هذه المرحلة: ميل الأطفال إلى الاستهواء وهو تقبل آراء الآخرين ممن يعجب بهم الطفل، أو يقدرهم دون أي نقد أو مناقشة ... هذا يدفعنا إلى أن نحرص دائما، على ألا نوحى للأطفال إلا بكل ما هو شريف ونبيل وصادق وحقيقي. "[1]

ويمكن تلخيص أهم مواصفات المسرحية المقدمة إلى الأطفال في هذه المرحلة وتتضمن ما يلي:

1) البطولة، والشجاعة والمغامرة.
2) الواقعية.
3) المعلومات العلمية.
4) الطابع التربوي والاجتماعي وتأكيد القيم التربوية والأخلاقية، والانتماء القومي بأسلوب غير مباشر.[2]

4ـ مرحلة المثالية

تشمل الأفراد ما بين 12 إلى 16 عامًا؛ هذه المرحلة مقرونة بفترة المراهقة، وإن كان هناك سهولة في تحديد بداية فترة المراهقة: وهي عند البلوغ الجنسي للذكور والإناث، ولكن من الصعب تحديد نهايتها. يمكن القول إن نهايتها عندما يصل الفرد إلى مرحلة النضج في ملامح نمو الشخصية الإنسانية في

[1] أحمد نجيب: فن كتابة الأطفال، مرجع سابق، ص 42.
[2] بحث منشور، آراء وخبرات العاملين بمسرح الأطفال بمصر، مرجع سابق، ص 84، 85.

جوانبها المختلفة. هناك أيضًا تقسيمات للمراهقين: مبكرة (13 - 16) عامًا، و متأخرة (17 - 21) سنة أو ما بين مبكرة (12 - 13، 14) سنة، ومتوسطة (15 ، 16 ، 17) سنة ، ومتأخرة (18 ، 19 ، 20 ، 21) سنة. إلا أن للمراهقة سمات عامة، وهي التدرج من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج في جميع مظاهر النمو البدني والجنسي والعقلي والعاطفي. يدرك الفرد قدراته من خلال التجارب التي يتفاعل بها مع الآخرين، ويعرف حدوده وحدود من سواه. تزداد علاقات الفرد الاجتماعية وتصبح أكثر شمولاً وعمقًا مع البيئة الاجتماعية. يبدأ في اتخاذ مواقف تجاه الأشياء في حياته، كاختيار نوع التعلم الذي يريده، والمهنة، والزواج. ويأخذ الفرد في تكوين جملة من القيم، تجعله قادرًا على العيش في عالمه، ومتطلعاً إلى مستقبل أفضل.

حول الخصائص المهمة للمسرحية المقدمة لهذه المرحلة:

1) تأكيد المثل العليا.

2) أن تكون ذات أهداف تعليمية.

3) تتضمن معلومات تاريخية وأخلاقية وتخاطب العقل [1]

في الختام، إن تحديد المستويات العمرية أمر مهم للغاية، لكن الأهم: ماذا نقدم؟ وكيف؟ يختلف طفل اليوم عن طفل الأمس في البيئة المتحضرة بشكله المعنوي والمادي. هذا ما ينبغي فهمه لمن يتعامل مع عالم الطفل؟

[1] المرجع السابق، ص 85.